﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

بعد أن وردت النِّداءات الموجَّهة للمؤمنين، وللكافرين، وللنَّبيِّ ﷺ، ضَرَب الله تعالى مثلَيْن بليغَيْن: أحدهما لامرأتين كافرتين كانتا في بيتَي نَبيَّيْن، والآخر لامرأتين مُؤمنتين كانتا في بيئة كافرة وأخرى مُخالفة، ليزيد بذلك أثر الموعظة وضوحًا، ويُعمّق إيمان المؤمنين، ويُنبّه الجميع، وعلى وجه الخصوص زوجات النَّبي ﷺ، إلى أنَّ المسؤوليَّة أمام الله فرديَّة، لا يشفع فيها نَسَبٌ، ولا يدفعها قُرْبٌ[1].

وأيضًا لما خُتم الحديث ببيان هلاك المُخالفين في الدُّنيا والآخرة، وكان لبعض الكُفّار قرابة بالمؤمنين يظنّون أنَّها قد تنفعهم، وكان لبعض المؤمنين قرابة بالكفّار يخشون أن تضرَّهم، جاء هذا البيان الإلهيُّ ردًّا على تلك الأوهام، وتربيةً للمجتمع النَّبويِّ فقال ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ضَرَبَ﴾: أصلُ الضَّربِ: إيقاعُ شيءٍ على شيءٍ وإصابَتُهُ وتَأثُّره بِهِ، يُقالُ: ضَرَبَهُ بالعصا، يَضرِبُهُ، ضَربًا؛ أي: أوقَعَها عليه[3]، والضَّربُ: الصِّنفُ منَ الأشياء؛ يُقالُ: هذا مِن ضَربِ ذاك؛ أي: مِن نَحوِه، وجمعُه ضروبٌ[4]، وضَربُ الأمثالِ: اعتِبارُ الشَّيءِ بالشَّيءِ وتَمثيلُه بِهِ، يُقالُ: ضَرَبَ اللهُ مثلًا؛ أي: وصَفَ وبَيَّنَ، قيلَ مأخوذٌ: من ضَربِ الدِّرهَم؛ أي: صَوغُه لإيقاعِ المَطارِقِ، سُمّي بِهِ لتَأثيرِه في النُّفوسِ. وقيلَ: إنَّه مأخوذٌ منَ الضَّريبِ؛ أي:

(1) الطَّنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 480.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 207، 208.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضرب).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ضرب).

المَثيلِ، تَقولُ: هو ضَريبُه، وهُما مِن ضَريبٍ واحِدٍ؛ لأنَّه يَجعَلُ الأوَّلَ مِثلَ الثّاني[1]. والمقصودُ بضربِ المثلِ في الآية: عبارة عن إيراد حالة غريبة، ليُعرف بها حالة أخرى، مُشاكلة لها في الغرابة[2].

2) ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: أصل الخاء والواو والنّون: تدور تصاريفُها على التَّنقُّص[3]، يُقال: خانَهُ يخونُهُ خَونًا وخيانَةً؛ إذا نقصَ وفاؤُهُ[4]، وقيَّدَهُ بعض أهل العلم بأنَّه نقصٌ خطيرٌ في خِفْيَة أو لُطْفٍ[5]، والخيانة مُخالَفَةُ الحَقِّ بِنَقضِ العَهدِ في السِّرِّ[6]، وحقيقةُ الخيانَةِ: أن يُؤتَمنَ الإنسانُ، فلا يَنصَح[7]، وسُمّيت الخيانة بذلك؛ لأنَّه ينقص ما اؤتُمِنَ عَلَيْهِ فلا يُؤدّيه كما كان عَلَيْهِ[8]، فالخيانَةُ: نَقْصُ الوفاء[9].

ومعنى الخيانة هُنا: أنَّهما خانَتاهُما في الدّين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما، وهذا هو المُراد بالخيانة، لا خيانة النَّسَبِ والفِراش[10].

3) ﴿يُغْنِيَا﴾: أصلُ (غني): يَدُلُّ على الكِفايَةِ، ومنه الغِنَى في المالِ، يُقالُ: غَنيَ يَغْنَى غِنًى، يُقالُ: لا يُغْنِي فُلانٌ غَناءَ فُلانٍ، أيْ: لا يَكْفي كِفايَتَهُ[11]، والإغناءُ: مُرادِفُ الغِنَى، وهُما مَعًا ضِدُّ الفَقْرِ.وَكَثُرَ اسْتِعْمالُ الغَناءِ في الإجْزاءِ والكِفايَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ أجْزَأَ وكَفَى فَقَدْ أذْهَبَ عَنْ نَفْسِهِ الحاجَةَ إلى المُغْنِينَ وأذْهَبَ عَمَّنْ أجْزَأَ عَنْهُ الاحْتياجَ أيضًا[12]، ويقال: أغْنَى عنه كذا؛ إذا كفاه. والمُرادُ بالإغناءِ في الآية: الدَّفع، أي: لم يدفعا من عذاب الله من شيء[13].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، وابن الأثير، النِّهاية، والزّبيديّ، تاج العروس: (ضرب).
(2) المنصوري، المقتطف: 5/ 278، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 8/ 269.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خون).
(4) ابن دُرَيْد، جمهرة اللّغة: (خون)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (خون).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (خون).
(6) الرّاغب، المفردات: (خون).
(7) ابن سيدَه، المُخصَّص: 1/ 286.
(8) عياض، مشارق الأنوار: (خون).
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خون).
(10) السّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 874.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(12) ابن عباد، المحيط في اللغة: (غني).
(13) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 68، والشَّيخ علوان، الفواتح الإلهيَّة: 2/ 428.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يضرب الله تعالى مثلًا بيِّنًا يُقرِّر فيه أنَّ القرابة من الصّالحين، أو الارتباط بهم بالنَّسب أو الزَّواج، لا تنفع الكافر في شيء ما لم يُحقِّق الإيمان، فيقول سُبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾، فقد كانتا زوجتين لنبيَّين كريمين من عباد الله الصالحين، ومع ذلك خانتاهما بالكفر، لا بالخيانة الزَّوجيَّة، فلم يُغنِ عنهما قربُهما من هذين النَّبيَّيْنِ، ولا دفعا عنهما شيئًا من عذاب الله، بل قيل لهما يوم القيامة: ادخلا النّار مع الدّاخلين، في ذُلّ وهوان، لتكونا عبرة لِكُلِّ من ظَنَّ أنَّ الحَسب أو النسب يُغني عن العمل والإيمان[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نُكتة فصل الآية عن سابقتها:

العـبرة ليست بالمقام أو القُرب، وإنَّـما بالإيمان والعمل

جاءت الآية الكريمة: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ استئنافًا ابتدائيًّا، لتكون تتمَّة بلاغيَّة بديعة تقرِّر الوعيد وتوضّح المصير، فبعد أن أُمر النَّبيُّ ﷺ، بجهاد الكافرين والمُنافقين وغِلَظٍ عليهم، وبَيَّن مصيرهم في الآخرة - أعْقَبَ ذلك بضرب مَثَلَيْنِ واضحَيْن: أحدهما: يُجسّد حال الكافرين الَّذين لا تنفعهم قرابة الصّالحين، والثّاني: سيأتي في سياق المؤمنات، ليكتمل بذلك تَقابُلُ الأحوال واتّضاح العاقبة، وهذا الفصل بين الآيتين فيه نكتة بلاغيَّة، وهي الانتقال من الأمر المباشر للنَّبيِّ ﷺ، إلى تصوير بليغ يُقرِّب المعنى للقارئ والسّامع، فيكون المثل توكيدًا

(1) ابن جرير الطبريّ، جامع البيان: 23/ 111، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 202، وابن كثير، تفسير ابن كثير: 8/ 171، والسّعدي، تيسير الكريم الرَّحمان، ص: 874، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 373، 374.

لما قبله، وإضاءة لما بعده، وإشارة إلى أنَّ العبرة ليست بالمقام أو القُرب، وإنَّما بالإيمان والعمل[1].

دلالة التَّعبير بـ﴿ضَرَبَ﴾ مادَّة وصيغة:

أهـمّـيّـة المَـثَـل المذكـور يتطلّب الشِّدَّة، والوقوع المُؤثّر

الضَّرب إيراد حالة بليغة ذات وقع خاصٍّ، ليُقاس بها غيرها من الأحوال المشابهة لها في الغرابة أو الشِّدَّة[2] فجاء التَّعبير في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ بالفعل ﴿ضَرَبَ﴾، لِما في هذا الفعل من قوَّة في اللَّفظ، وجَرْسٍ يوحي بالشِّدَّة والوقوع المُؤثّر، وهذا من دقائق الأسلوب القرآنيِّ، إذ لم يُعبَّر عن إيراد المثل بلفظ "ذكر" أو "مَثَّل"، بل اختير "ضرب" للدَّلالة على أنَّ هذا المَثَلَ ليس مُجَرَّد تشبيه عابر، بل تصوير قويٌّ يُلقى على المَسامع إلقاءً يَهُزُّ القلب والعقل[3].

نكتة إسناد ضرب المثل إلى لفظ الجلالة:

عِـظَـمُ المثل يوجب إكباره، والاتّعاظ منه

في إسناد فعل ﴿ضَرَبَ﴾ إلى اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ تكمُن فيما يحمله هذا الاسم من جلال وهيبة وتعظيم، فهو اسم يُستعمل في مقام التَّأليه والخضوع؛ فالله "الملك الَّذي أحاط بكلِّ شيء قدرة وعِلْمًا"[4]، فإذا أُسند إليه إيراد المثل، تولَّد عن ذلك تأثير بالغ في نفس المُخاطب، يُشعره بعِظَم المثل ووجوب تلقّيه بإجلال واهتمام وتدبّر.

نُكتة تنكير ﴿مَثَلًا﴾ وموقعه في المعنى:

أهـمّـيّـة المثل وفـخـامـتـه يـسـتـدعـي مهابته، والتدبّر فـيـه، وإعـمـال الفكر

نُكِّر لفظ ﴿مَثَلًا﴾ لإفادة التَّعظيم والتَّفخيم، تنبيهًا إلى أنَّ هذا المثل ليس من جنس الأمثلة المألوفة، بل هو مثل جليل الشَّأن، عظيم المعنى، بالغُ الأثر، يُقصد به استنهاض الفكر، واستدعاء التَّدبُّر، فكأنَّ التَّنكير هُنا لبعث الهيبة في نفس السّامع، وتعظيم ما سيُلقى من المعنى.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 373.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 8/ 88، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 68.
(3) صبحي المليجي، من أسرار النَّظم القرآني في علاجه مشاكل الأسرة: 3/ 2186.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 208.

معنى اللّام وسِرُّ تعدية الفعل ﴿ضَرَبَ﴾ به:

الإشعار بأنَّ هذا المثل إنَّما سيق مـن أجـل أن يعتبر به الَّذين كفروا

إنَّ تعدية الفعل ﴿ضَرَبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بحرف اللّام، الدّال على العِلَّة والاختصاص، تُفيد أنَّ المَثَلَ أُلقي لأجل من دخلت عليه اللّام، أي: أنَّ الغرض من ضرب المثل هو تنبيههم، وتوجيه العبرة إليهم، ليقيسوا حالهم بحال من ضُرب به المثل، فقول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، معناه: أنَّه ساق هذا التَّشبيه لأجلهم خاصَّة، قصدًا وتنبيهًا، كما في قوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ [الزُّخرف: 58]، أي ما أرادوا به إلّا المراء، وكقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الرّوم: 58]، أي: بَيَّنّا لهم أوجُهَ العِظة وألقيناها إليهم ليعتبروا[1].

دلالة تقديم الجار والمجرور:

الاهتمامِ بإيقاظِ الَّذينَ كفَروا

في تَقديمُ المجرورِ باللّامِ على المفعولِ ﴿ٱمْرَأَتَ﴾ في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ تنبيهٌ للكافرين على وجه الخصوص، فجاء التَّقديم لإيقاظهم إلى أنَّ هذا المثل موجَّه إليهم تحديدًا، لا ليُساق عرضًا، بل ليكون لهم فيه موضع عبرة ونظر[2].

غرض الاحتراس بالتَّعبير بالاسم الموصول وصلته:

التَّـوكـيـد بـأنَّ الغرض من المثل إنَّـمـا هـو ضربه للكافرين خاصَّة

من لطائف التَّعبير في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أنَّ هذا التَّقييد جاء ليؤكِّد أنَّ الغرض من المثل إنَّما هو ضربه للكافرين خاصَّة، وذلك احتراسٌ دقيق يُبعد توهُّم أنَّ التَّمثيل يُرادُ به المُشابهة التّامَّة من كُلِّ وجه، فجاء القيد ليُحدِّد جهة التَّشبيه ويضبط وجه الشَّبه، على نحوٍ يُجنّب الخلط بين مواضع الاتِّفاق والاختلاف، وهو من بلاغة الاحتراس الَّتي تتكرَّر في القرآن عند كثرة التَّشبيهات، لمنع الإيهام، وتقييد الفهم، وترسيخ العبرة في إطارها الصَّحيح[3].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 373.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 374.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 374.

نكتة التَّعبير بالفعل ﴿كَفَرُواْ﴾:

الكُفّار طَمسوا الحَقَّ وغطّوه عن أنفسهم وعن غيرهم

في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إشارة إلى أنَّ هؤلاء قد طمسوا الحَقَّ وغطّوه عن أنفسهم وعن غيرهم، سواء أكان كُفرهم عنادًا ومشاقَّة، أو نفاقًا وتستّرًا، فهم في كلا الحالين لا ينتفعون بصلةٍ أو قرابةٍ تجمعهم بالمؤمنين؛ لأنَّ الكُفر إذا دخل القلوب قَطَعَ ما بينها وبين أهل الإيمان من علائق[1]. وجيءَ به ماضيًا للدَّلالة على تحقّقه فيهم، ورسوخه.

سِرُّ تأخير المفعول الأوَّل ﴿ٱمۡرَأَتَ﴾ على المفعول الثّاني ﴿مَثَلًا﴾:

في المثل العظيم دعوة إلى الاتِّعاظ بعاقبة من يغترُّ بالقرابة

الفعل ﴿ضَرَبَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾ بمعنى (جعل)، وهو فعل يتعدَّى إلى مفعولين، فـ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ﴾، وما عُطف عليها مفعوله الأوَّل، و﴿مَثَلًا﴾ مفعوله الثّاني، وقد أُخّر المفعول الأوَّل ليتَّصل ببيان القصَّة العجيبة والمثل العظيم، فكأنَّ المعنى: جعل الله قصَّة هاتين المرأتين مثلًا وعبرة لحال الكافرين المغرورين، ليحذَروا الغرور بالقرابة أو المنزلة، وليتوجَّهوا إلى الله ورسوله؛ إذ في هذا التَّمثيل دعوة إلى الاتِّعاظ والانتباه لما توصل إليه العاقبة برغم القرب الظّاهريِّ من أهل الصَّلاح[2].

سِرُّ التَّعبير بالمرأة بدل الزَّوجة:

الكفر يقطع أواصر الصِّلة والموالاة، والانسجام بَيْنَ الزَّوجين

من دقائق التَّعبير القرآنيِّ أنَّه عَبَّر عن زوجات المؤمنين بلفظ (الزَّوج) لما فيه من دلالة على المُشاكلة والاقتران والتَّناسب الإيمانيِّ، كقوله: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب: 6]، في حين عبّر عن الكافرات، أو عن المسلمات المتَّصلات بكفّار، بـ (المرأة)، دون (الزَّوجة)، كقوله هُنا: ﴿ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ﴾، إشارة التَّجرُّد

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 208.
(2) عبد الكريم مدرس، مواهب الرحمان: 7/ 260.

من المجانسة والمشاكَلةِ، وانقطاع الانسجام بين الطَّرفين؛ إذ الكفر يقطع أواصر الصِّلة والموالاة، فإنَّ التَّعبير بـ(المرأت) في المواضع الَّتي لا تقتضي التَّوافق الإيمانيَّ أدقّ في الدَّلالة وأبلغ في التَّفريق، أمّا في سياقات الحمل والولادة، كما في: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ [مريم: 5]، فذِكر (المرأة) أنسب؛ لأنَّ المقصود هو الأنوثة باعتبار وظيفتها، لا الزَّوجيَّة باعتبار العلاقة[1].

علّة الاقتصار على الزَّوجتين دون غيرهما من قرابة الأنبياء:

التَّنبيه اللَّطيف لزوجات النَّبيِّ ﷺ، الَّذي يتناسب مع سياق السّورة

ضُرب المثل بامرأتي نوح ولوط - دون غيرهما من قرابة الأنبياء كأبي إبراهيم أو ابن نوح - لأنَّ في ذكرهما هنا تجديدًا للفائدة، وتنبيهًا لطيفًا يَتناسب مع سياق السّورة، خاصَّة بعد ما صدر من حفصة وعائشة رضي الله عنهما مع النَّبيِّ ﷺ، ففي هذا التَّمثيل تحذيرٌ شديد، وبيانٌ بأنَّ صلة النَّسب لا تنفع إن لم تُقرن بالتَّوحيد والطّاعة، وأنَّه لا يجوز الاتِّكال على شرف الزَّوجيَّة برسول الله ﷺ، دون القيام بحقوقه، فكما لم تنفع المرأتين صلتُهما بالنَّبيَّين الكريمين إن خانتا الرِّسالة، كذلك لا ينفع القرب إن لم يصحبه صدق وإيمان[2].

نُكتة فصل قوله ﴿كَانَتَا﴾:

البيان والتَّفسير لمضمون ضرب المثل

جاءت جملة: ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ﴾ مُستأنفة؛ لأنَّها جاءت على وجه البيان والتَّفسير لمضمون ضرب المثل، لتفصيل حال المرأتين وبيان موضع العبرة، فالفصل هُنا يفيد تفصيل الكلام وتوكيده، ويُهيّئ السّامع لتأمُّل المُفارقة بَيْنَ مقام الزَّوجين الصّالحَيْن وبين خيانة من كانتا في عصمتهما[3].

(1) ابن القيم، جلاء الأفهام، ص: 230، 231.
(2) الزَّمخشري، الكَشّاف: 4/ 571، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 217، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 8/ 270.
(3) ابن عادل، اللباب: 19/ 214، والقنوجي، فتح البيان: 7/ 144.

بلاغة المجاز في التَّعبير بالتَّحتيَّة:

في قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ مجازٌ بليغ، حيث استُعملت (التَّحتيَّة) - وهي في الأصل دالَّة على المكان الحسّيِّ - مجازًا عن الرّابطة الزَّوجيَّة القائمة على الصّيانة والسَّتْرِ والعصمة، إذ المرأة في عصمة الرَّجل كأنَّها تحت كنفه وحِماه[1]، فهو مجاز مُرسل جاء على معنى السَّتر والصّيانة والعصمة، إيحاءً بأنَّهما كانتا في موضع يُنتظر فيه الهداية والاقتداء، فجاءت الخيانة في هذا الموضع أشدَّ نُكرًا، والمفارقة بَيْنَ الظّاهر والباطن أبلغ وقعًا، مِمّا يُعظِّم وجه العبرة في ضرب المثل.

الخيانة في موضع يُنتظر فيه الهداية والاقتداء أشدُّ نُكرًا

بلاغة الكناية في التَّعبير بالتَّحتيَّة:

في قوله تعالى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ كناية بديعة، أُشير بها إلى الزَّواج والنِّكاح دون التَّصريح بهما، فاستُعملت (التَّحتيَّة) كناية عن كونهما في عصمة نَبيَّيْن كريمَيْن، وتحت كنفهما وصيانتهما، في أعلى درجات القُرب والاتِّصال، دون أن يُذكر لفظ (الزَّوجيَّة) صراحة. وهذه الكناية أبلغ في توبيخ المرأتين، إذ تُبرز فداحة الخيانة على الرَّغم من شرف المنزلة، وتُظهر التَّباعد بَيْنَ الظّاهر من الارتباط، والباطن من الكفر والخيانة، فكأنَّ التَّعبير بالتَّحتيَّة يُجسّد عمق المُفارقة بَيْنَ قرب الصّورة وبُعْدِ الحقيقة[2].

شرف المنزلة لا يعصم من فداحة الخيانة

نكتة الإظهار بدل الإضمار في جملة ﴿تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾:

لم يُضمرِ النَّظم الكريم في ﴿تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾، فلم يُقل: (تحتهما)، قصدًا إلى تشريف نوح ولوط عليهما السلام بهذه الإضافة العَليَّة: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾؛ إذ لو أُضمر لما ظهر هذا التَّفضيل،

في الإضافة العَليَّة قصدٌ إلى تشريف نوح ولوط عليهما السلام

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتّنوير: 28/ 375.
(2) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 481.

فكان في إظهار الموصوف رفعٌ لشأن النَّبيَّين، وتوكيدٌ لعِظم الموازنة المفارقة بين صلاحهما وخيانة زوجيهما[1].

في الإظهار دفعٌ لتوهّم ما لا يليق بمقامهما عليهما السلام

وأظهر بالوصفِ العبوديَّةَ والوصف بالصَّلاح فلم يُقل: (تحتهما)؛ لأن ذلك أفخم، فيكون أشدّ تأثيرًا للموعوظ وأعظم، ودفعًا لأن يتوهّم أحدٌ شيئًا لا يليق بمقامهما عليهما الصَّلاة والسَّلام فقال: ﴿تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ﴾، أي: كلٌّ واحدة منهما تحت عبدٍ[2].

نُكتة وصف النَّبيَّينِ الكريمينِ بالعبوديّة:

التَّشريف الحقُّ في كمال العبوديَّة لله ربِّ العالمين لا في النَّسب

في التَّعبير عن النَّبيَّينِ الكريمَين بلفظ ﴿عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ دون التَّصريح باسميهما، تشريفٌ وتعظيمٌ بالغ، إذ وُصفا بأشرف أوصاف الخَلْق: العبوديَّة لله، وهي أعظم مقام يُمدح به الإنسان، "فالله تَعالَى جَعَلَ العُبوديَّةَ وصْفَ أكْمَلِ خَلْقِهِ، وأقْرَبِهِمْ إلَيْهِ"[3] كما افتتح الله بها الثَّناء على صفوته من خلقه نبيّه محمَّد ﷺ، في مواضع جليلة، "فقد حَقَّق الله له نعت العبوديَّة في أرفع مقاماته حيث قال ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1]، وقال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النَّجم: 10]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ١٩﴾ [الجنّ: 19]"[4]؛ كما كُني عن اسمي النَّبيَّينِ الكريمَين - نوح ولوط عليهما السلام - بلفظ ﴿عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا﴾، دون التَّصريح باسْمَيْهما، لما في ذلك من التَّشريف بالإضافة إليه تعالى[5].

فجاء هذا التَّعبير ليُشير إلى أنَّ الشَّرف كُلَّ الشَّرف في كمال

(1) السَّمين، الدّر المصون: 6/ 338.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 208.
(3) ابن القيم، مدارج السّالكين: 1/ 121.
(4) ابن تيميَّة، مجموع الفتاوى: 1/ 66.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط في التفسير: 10/ 215.

العبوديَّة، لا في النَّسب[1]، ولتكون العبرة في ضياع المرأتين برغم قربهما من رجلين بلغا هذا المقام العظيم، تنبيهًا على أنَّ القُرب لا يُغني بلا إيمان، وأنَّ أعظم صلة تُنجي هي صلة العبوديَّة لله.

سِرُّ تنكير لفظ ﴿عَبْدَيْنِ﴾:

تعظيم مقام النَّبيَّينِ الكريمَين لرفعة مقامهما وسموِّ منزلتهما

نُكّر لفظ ﴿عَبْدَيْنِ﴾ تعظيمًا لشأن النَّبيَّين الكريمين؛ إذ القصد أنَّ المرأتين كانتا في عصمة رجلين عظيمين في المنزلة، جليلين في العبوديَّة لله، فالتَّنكير هُنا لإبراز رفعة المقام وسموِّ المنزلة[2].

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ وسِرُّ التَّعبير بها:

بيان لرفعة المنزلة، وتنويه بعلوِّ القدر

في قوله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، جاءت ﴿مِنْ﴾ حرفَ جَرٍّ وبيانٍ[3]، لتُبيّن حقيقة العبدين المَذكورين، وأنَّهما ليسا عبدين عاديين، بل هما من صنفٍ مخصوصٍ هم عباد الله المقرَّبون الصّالحون، ففيها بيانٌ للنَّوع والمقام، أي: من الَّذين نالوا شرف العبوديَّة الكاملة لله، وسِرُّ التَّعبير بها أنّها تُعظّم شأن النَّبيَّين نوح ولوط ﷺ، بإدخالهما ضمن عباد الله الَّذين أُضيفوا إليه تشريفًا، فكان في هذا التَّعبير بيان لرفعة المنزلة، وتنويه بعلوِّ القدر. ويجوز أن تكون تبعيضيّة فهما عبدان من عباد الله المخلصين الأخيار، وغيرهم كثيرٌ[4].

فائدةُ القيد: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بعْدَ قوله: ﴿عَبْدَيْنِ﴾:

فائدةُ قولِه: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بعْدَ قولِه ﴿عَبْدَيْنِ﴾؛ مَدْحُهما والثَّناءُ عليهما، بإضافتِهما إليه إضافةَ التَّشريفِ والتَّخصيصِ والتَّعظيم، وفي ذلكَ مُبالَغةٌ في المعْنى المقصودِ، وهو أنَّ الإنسانَ لا يَنْفَعُه عادةً إلّا صلاحُ نفْسِه، لا صَلاحُ غَيرِه، وإنْ كانَ ذلكَ الغَيرُ في أعلى المراتِبِ[5].

(1) شحاته، تفسير القرآن الكريم: 28/ 5952، والصابوني، صفوة التَّفاسير: 3/ 387.
(2) الطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 481.
(3) بهجت صالح، الإعراب المفصل: 13/ 80.
(4) قباوة، المفصل في تفسير الجلالين، ص: 1983.
(5) الطّيبي، حاشية الطّيبي على الكشاف: 15/ 519، والأنصاري، فتح الرَّحمان، ص: 574.

سِرُّ تقديم شبه الجُملة ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾:

في تقديم قوله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ على وصف ﴿صَٰلِحَيْنِ﴾ إظهارٌ لقاعدة التَّمثيل، وهي أنَّ الرُّجحان عند الله إنَّما يكون بالعبوديَّة الخالصة لا بشيء سواها، فذِكر النَّبيَّين بوصفهما عبدين من جُملة عباده، دون تخصيص، أو تمييز في النَّسب، أو الشُّهرة، إشارة إلى أنَّ الفضل عند الله لا يُنال إلّا بالعبوديَّة والصَّلاح، وأنَّ كلّ عبدٍ، مهما علت رتبته، لا يعلو إلّا بقدر ما حقّق من عبوديَّته، فالتَّقديم هنا بيانٌ لمعيار الكرامة الحقِّ، وتقرير أنَّ الميزان عند الله لا يقوم إلّا على الإيمان والصَّلاح[1].

إنَّ الفضل بيد الله لا يُنال إلّا بالعبوديَّة الخالصة له تعالى

نُكتة إضافة العباد إلى ضمير العظمة:

تخصيص إضافة العبد إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾، تنبيهٌ على مدحه في كونه مطيعًا له منقادًا لأمره، وأنَّه غير معرّج على غيره[2]. وجاءت الإضافة إلى ضمير العظمة (نا) على وجه التَّشريف والتَّكريم والتَّفخيم؛ إذ العبوديَّة لله تعالى أشرف مقام وأرفع وصف، فهي لخُلّص عباده وأصفيائه، فكان في هذه الإضافة تعظيمٌ لمقام النَّبيَّيْن، وتكريمٌ لعبوديَّتهما الخالصة[3]. وفي كلّ إضافة إلى الله بهذا الوجه مبالغة في الاختصاص[4].

العبوديَّة لله أشرف مقام وأرفع وصف

بلاغة الجناس الاشتقاقيّ في ﴿عَبْدَيْنِ﴾، و﴿عِبَادِنَا﴾:

في الجمع بين كلمتَي ﴿عَبْدَيْنِ﴾ جناسٌ اشْتِقاقيٌّ بديع، يُثري المعنى ويقوّي اللَّفظ، إذ هما مشتقّان من أصل واحد هو العُبوديَّة، فدلّ اقترانهما على توكيد المعنى وتثبيته في النَّفس، كما أضفى على

مقام العبوديَّة الخالصة هو ما اشترك فيه النَّبيّان مع أولياء الله جميعًا

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 572، والسّيرافي، التَّقريب في التَّفسير: 4/ 411.
(2) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 519.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 215، والبقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 208، والدُّرَّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 25.
(4) الطيبي، فتوح الغيب: 15/ 519.

الآية تناغمًا لفظيًّا يزيدها تأثيرًا، وهذا الأسلوب يُبرز أنَّ النَّبيَّيْن الكريمين لم يُمدحا باسميهما ولا بنسبهما، بل بما اشتركا فيه مع أولياء الله جميعًا: مقام العبوديَّة الخالصة.

دلالة الجمع في لفظ ﴿عِبَادِنَا﴾:

من فضل الله تعالى تشريف كثير من عباده بوصف العبوديَّة الصّادقة له

في قوله تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ جاء الجمع في لفظ (عباد) للدَّلالة على كثرة من تحقَّقَ فيهم وصف العبوديَّة الصّادقة لله تعالى، وهو تعبير يُشير إلى سعة فضل الله، وغناه عن خلقه، وكثرة من شرّفهم بالانتماء إليه بهذه الصِّفة الجليلة، فليس العبدان المذكوران وحدهما من نال هذا المقام، بل هما من زمرة واسعة من عباد الله الصّالحين[1].

سِرُّ التَّنكير والاسميَّة في لفظ ﴿صَٰلِحَيْنِ﴾:

عِظَمُ الشَّأن والتَّمكُّن من أسباب السَّعادة

قوله تعالى: ﴿صَٰلِحَيْنِ﴾ نعتٌ لعبدين، جاء مُنَكَّرًا تعظيمًا لهما وتنويهًا بشأنهما، فهما نبيّان مُرسَلان، قد بلغا من علوّ المنزلة وشَرَفِ النُّبوَّة، متمكِّنان من تحصيل خيري الدُّنيا والآخرة وحيازة سعادتهما[2].

سرّ تخصيص وصف الصَّلاح بالذِّكر دون غيره:

الصَّلاح أبهى أوصاف الصَّفوة، وأبلغها أثرًا في القلوب

خصّ النَّظم الكريم نوحًا ولوطًا بوصف الصَّلاح - مع أنَّ وصف النُّبوّة أخصُّ وأرفع - تعظيمًا لشأن الصَّلاح وتنويهًا به، وإشارةً إلى أنَّ النُّبوّة في حقيقتها منتهى مراتب الصَّلاح، وكفى بدلالة القرآن شاهدًا؛ إذ جعل الصَّلاح شعار من اصطفاهم من أنبيائه، فقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: 130]، ودعاه يوسف عليه السلام في ختام مقامه: ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: 101]، وجعله سليمان عليه السلام غاية رجائه: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: 19]. فَذُكِرَ الصَّلاحُ ليَعْظُمَ بذلك قدرُ الصّالحين في قلوب المؤمنين، وتَعُمَّ العبرة نساءَ المسلمين في حسن

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 20/ 208.

(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 68، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 482.

المعاشرة وطاعة الأزواج؛ إذ قد انقطع مُسمَّى النُّبوَّة في هذه الأمَّة بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ، وبقيت مرتبة الصَّلاح بابًا مشرعًا لِكُلِّ مريد. وفي هذا الأسلوب ترهيبٌ لمن يؤذي الصّالحين، وتذكيرٌ بأن الله تعالى يدافع عنهم، ويُعلي ذِكْرَهم، ويقرنهم بالمقرَّبين من أنبيائه وأوليائه. فالصَّلاح إذن أبهى أوصاف الصَّفوة، وأجلى مراتب القرب، وأبلغ في التَّأثير على قلوب الموعوظين[1].

معنى الفاء في قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾:

بيان نتيجة ما تقرَّر قبلها من علوّ مقام الزَّوجين

الفاء قوله تعالى ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ عاطفة للتَّرتيب، والتَّعقيب، والسّببيّة[2]. تفصح عن محذوف دلّ عليه السّياق، والتَّقدير: "فلم ينفعهما شرف الصُّحبة، ولا عصمة النُّبوّة، ولا مقام الولاية"، فخانتاهما، فجاءت الفاء لبيان نتيجة ما تقرّر قبلها من علوّ مقام الزَّوجين، أي أنّ الخيانة جاءت مع قيام ما يوجب ضدّها من شرف المصاحبة وكمال القدوة[3]، وهذا أبلغ في التَّوبيخ وأشَدُّ في الموعظة.

دلالة عود الضَّمائر في قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾:

الزَّوجة الَّتي لا تراعي حقّ العِشْرة حقيقٌ بها التَّقريعُ والتَّوبيخُ

ضمير الرَّفع (ألف الاثنين) في (خانتاهما) يعود على المرأتين، وضمير النَّصْب (الهاء) فيه يعود على الزَّوجين النَّبيَّين، أي: نوح ولوط عليهما السلام، وفي ذلك تقريعٌ للزَّوجتين، إذ لم يُراعيا حقّ من عاشرتا، وخالفتا من أُرسل إليهما رحمة وهداية، فجاء التَّعبير جامعًا بين الإيجاز والتَّقريع، والإيماء إلى أنَّ شرف القرب لا يُغني عند الله إن لم يُصاحبه الإيمان والطّاعة.

نكتة التّعبير بلفظ الخيانة دون غيرها:

لفظُ الخيانة أبرزُ شناعةَ الفعل، وبالغَ في التَّقريعِ

التَّعبيرُ بلفظِ الخيانةِ في قوله تعالى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ دون غيرِه من

(1) الزَّمخشري، الكشّاف: 4/ 572، وأبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 215، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 375.

(2) قباوة، المفصل في تفسير الجلالين، ص: 1983.

(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 10/ 68.

الألفاظ أدلُّ على شناعةِ الفعل، وأبلغُ في التَّقريع؛ إذِ الخيانةُ ضدُّ الأمانة، ولا تكونُ إلّا في موضعِ الثِّقة والعهد، فاستُعمِلت لبيانِ ما كان عليه حالُ هاتين المرأتين من نكثِ العهد، ونقضِ الميثاق، والكُفرِ والنِّفاق، مع وجود أسباب الهدايةِ في بيت النُّبوَّة، فكان ذلك أفظعَ في الوصف، وأشدَّ في الذَّمّ[1]، ولم يُرَد بها خيانةُ الفِراش - كما قد يُتوهَّم - فإنَّ اللّٰهَ تعالى قد عصم أنبياءَه من ذلك، وما بغت امرأةُ نبيٍّ قَطُّ، وإنّما هي الخيانةُ في العقيدة والدّين، فأُلبستِ المرأتان ثوبَ الخيانة تنفيرًا، وجُعلتا في زمرة الخونةِ من أعداء الرِّسالة تصويرًا لحالهم، وتنديدًا بمآلهم[2].

معنى الفاء في ﴿فَلَمْ﴾:

شرف الصُّحبة لا ينفع عند نقض الإيمان

الفاء في قوله تعالى ﴿فَلَمْ﴾ تُفيد التَّسَبُّب والبيان، أي: فتسبَّب عن خيانتهما أن لم يغنِ الزَّوجان - مع كمال صلاحهما وعلوّ مقامهما - عن المرأتين شيئًا، فكان المآل إلى الخِذْلان، ولم تُجدِ صحبةُ النُّبوّة، ولا رابطةُ الزَّوجيَّة، في دفع عذاب اللّٰه، الَّذي لا يَردّ بأسَه دافع، ولا يَشفع عنده نسبٌ ولا حسب. فالفاء إذن فاءُ تفريعٍ دالّةٌ على أنَّ الخيانة هي العِلّة في انتفاء الإغناء، فهي تُبيِّن الجزاء، وتفصل بين الجناية ونتيجتها، لتبيِّن أنَّ شرف الصُّحبة لا ينفع عند نقض الإيمان، وأنَّ الأمر كلّه للّٰه تعالى، لا يردّه أحدٌ ولا يُبدّل حكمه قريبٌ ولا حبيب[3].

دلالة التَّعبير بـ﴿يُغْنِيَا﴾ مادَّة:

الغَناء أخصُّ في دفع الحاجة والبلاء خصوصًا عند الشِّدَّة والنَّجدة

مادَّة (الغَناء) تدلّ على الدَّفع والكفاية، وقولُه تعالى ﴿يُغْنِيَا﴾ أي: لم يدفعا، ولم يكفيا، ولم يُجْديا عنهما شيئًا[4]، وهو أبلغ من أن يُقال (لم ينفعاهما)؛ لأنَّ (الغَناء) أخصُّ في دفع الحاجة والبلاء، وهو يُستعمل في مقام الشِّدَّة والنَّجدة[5].

(1) أبو السُّعود، ارشاد العقل السَّليم: 8/ 270.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 10/ 68.
(3) الشِّربيني، تفسير الخطيب: 4/ 363، وإسماعيل حقي، روح البيان: 10/ 68.
(4) الخازن، تفسير الخازن: 4/ 317، ومأمون حموش، التفسير المأمون: 8/ 120.
(5) الشّيخ علوان، الفواتح الإلهيَّة: 2/ 428.

نُكتة تنكير ﴿شَيۡـًٔا﴾ وتأخير موقعها النَّحويُّ:

الـدَّلالـة على انـتـفـاء أدنى درجات النَّفع

تنكير لفظ ﴿شَيۡـًٔا﴾ جاء للتَّقليل والتَّحقير، ليدلَّ على انتفاء أدنى درجات النَّفع، أي: فلم يغنيا عنهما شيئًا من الإغناء حتَّى ولو كان قليلًا، ولم تتخلّصا من عذاب الآخرة بعلاقتهما مع ذَيْنَك الصّالِحَيْن[1]؛ ففيه قطعٌ لطَمعِ مَنْ رَكَنَ إلى صَلاحِ غيره، وتحذيرٌ من ظنّ أنّ قرابة الأولياء تُجدي مع الإصرار على المعصية[2].

معنى الواو ودلالة العطف في ﴿وَقِيلَ﴾:

بـيـان تـوالي الخِذْلان وتكامل العذاب

رتّب النَّظم الكريم على خيانة المرأتين الكافرتين عقوبتين: إحداهما نفسيَّة، وهي تخلّي الزَّوجين الصّالحَيْن عنهما حين اشتدّت حاجتهما إليهما، والأخرى حسيَّة نفسيَّة، هي دخول النّار في صحبة زُمَرِ الكافرين، فكان في العطف بيان لتوالي الخذلان وتكامل العذاب.

سِرُّ التَّعبير بالفعل الماضي (قيل) مبنيًّا للمفعول:

تحقّق الوقوع، وتصوير الأمر كأنَّه قد تمَّ وانتهى

عُبِّر بالفعل الماضي (قيل) لتحقّق الوقوع، وتصوير الأمر كأنَّه قد تمَّ وانتهى، وهذا يدلُّ على الجزم بوقوع العذاب، وقطع الرَّجاء من النَّجاة، تحقيقًا للوعيد، وتوكيدًا لفظاعة المصير[3].

قـولُ العظيم نافذٌ لا رادَّ له

وبُني الفعل (قيلَ) للمفعول للإشارة إلى جلال القائل وعِظم سُلطانه، وأنَّ الأمر لا يُحتاج فيه إلى التَّصريح بالفاعل، إذ هو معلوم للقلوب، حاضر في المقام، وهو الله ﷻ، أو مَن أذن له من ملائكته بأمره[4]، فجاء التَّعبير على هذا الوجه ليدلَّ على أنَّ الكلمة قاضية نافذة، لا مردّ لها، وأنَّ العذاب قضي فيه من العليِّ الأعلى، فكان في حذف الفاعل تعظيمٌ للقول، وتفخيمٌ للمقام، وتهويلٌ للمصير.

---

(1) ابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 168، والطَّنطاوي، التَّفسير الوسيط: 14/ 482، وعبد الكريم مدرس، مواهب الرَّحمان: 7/ 260.

(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 4/ 311.

(3) الصّاوي، حاشية الصاوي على الجلالين: 4/ 227، والهرري، حدائق الرَّوح والريحان: 29/ 503.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 209، والجاوي، مراح لبيد: 2/ 543.

دلالة الأمر في ﴿ٱدۡخُلَا﴾:

في دخول النّار إذلالٌ وإهانة

الأمر في ﴿ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ﴾ جاء للتَّبكيت والإهانة، وسيق لإذلال المرأتين وإظهار خزيهما[1].

معنى (أل) في ﴿ٱلنَّارَ﴾:

الـزّيـادة في التَّهويل وقطع الرَّجاء في النَّجاة من الخلود في النّار

(أل) في ﴿ٱلنَّارَ﴾ للعهد الذِّهنيِّ، تُشير إلى النّار المعهودة المعدّة للكافرين والعصاة، فهي ليست نارًا مجهولة، بل هي نار العذاب الأبديِّ، الَّتي وُعد بها أهل الكفر، وهذا ما يزيد في التَّهويل ويقطع الرَّجاء من النَّجاة[2].

فائدة ذِكْرِ المعيَّة في قوله ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾:

مساواة المرأتين بسائر الكافرين تـوكـيـدٌ بـأنَّ القرابة لا تنفع مع الكفر

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، فيه تقريرٌ لمُساواتهما بسائر الكافرين، إذ أُلحقتا بجمهرة من لا صلة لهم بالأولياء، ولا نسب لهم إلى الأنبياء، فجاءت ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾، لإفادةِ مُساواتِهما في العذابِ لغيرِهما مِنَ الكَفرةِ، ولتؤكّدَ أنَّ القرابة لا تنفع مع الكفر، وفي ذلك قطعٌ لتوهُّم نَيْلِهما الشَّفاعةَ، وتيئيسٌ لهما من أدنى نفعٍ بسبب قرابة الزَّوجين الصّالحَيْنِ[3].

دلالة الجمع في لفظ ﴿ٱلدَّٰخِلِينَ﴾:

في الجمع إذلالٌ وإشعارٌ بالمصير المشترك

جاء لفظ ﴿ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ بصيغة جمع المذكّر لاختلاط المرأتين بسائر الدّاخلين من الكفّار، فلا تدخلان النّار مُنفردتين، وغُلِّب جانب التَّذكير على سَنَن اللُّغة، وفي هذا الجمع إمعان في الإذلال، بإلحاقهما بجمهور من الكافرين لا قرابة بينهما وبينهم[4]، فكان الجمع دالًّا على الذُّلّ العامِّ والمصير المشترك.

(1) الطَّنطاوي، التفسير الوسيط: 14/ 482.
(2) الجيلاني، تفسير الجيلاني: 6/ 126، والشيخ علوان، الفواتح الإلهيَّة: 2/ 428.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 28/ 376، وإسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 68.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 10/ 68، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 29/ 483.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"